

صحف أبي بكر الصديق رضي الله عنه الأصل والمضمون

**Abu Bakr Al-Siddiq newspapers, may God be pleased with him,
original and content**

حمزة عواد*

جامعة وهران 1 (الجزائر)،

ملخص:

إن الحديث عن مراحل الجمع التدويني للقرآن الكريم في مراحل الثلاث لمن الأهمية بمكان، إذ يمثل التاريخ الفعلي لانتقال القرآن عبر أجيال الأمة الإسلامية، ولقد تحمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسؤوليتهم الكاملة تجاه القضية، فأوصلوا لنا القرآن غضا طريا كما بدأ، ولما لم يكن من ديدنهم رضي الله عنهم التبجح بأعمالهم وذكرها والإعلان عنها، فقد اكتنف الغموض كثيرا من أروع قصصهم إثارة؛ فكيف بأيامهم العادية، وعليه فقد كانت هذه المسألة الحساسة من أشكال الأمور على كثير من أهل العلم، فضلا عن المستشرقين وأذناهم الذين اتخذوها مطعنا على القرآن وصحة نضه، حتى اتهموا زورا الخلفاء الراشدين بتزوير القرآن، فالحديث عن مراحل جمعه جميعا سيجلي هذا الغموض، ويثبت مصداقية عمل أولئك العظام، ونبيل قصدهم، وصفاء معدنهم رضي الله عنهم، واقتصرت في هذه الدراسة على مرحلة واحدة من تلك المراحل هي الجمع البكري، كدفعة أولية في معالجة هذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: القرآن؛ الجمع التدويني؛ الصحابة؛ أبو بكر الصديق، الجمع البكري

Abstract:

Talking about the stages of the recording collection of the Holy Qur'an in its three stages is of great importance, as it represents the actual date of the transmission of the Qur'an through the generations of the Islamic nation. The companions of the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, assumed their full responsibility towards the issue. They do not, may God be pleased with them, to boast about their

* المؤلف المرسل

deeds, mention them and announce them, as many of their most exciting stories were shrouded in mystery. So how about during their normal days, and accordingly, this sensitive issue was one of the most problematic matters for many scholars, in addition to the orientalist and their offspring who took it as an objection to the Qur'an and the correctness of its text, until they falsely accused the Rightly Guided Caliphs of falsifying the Qur'an, so talking about the stages of its collection will clarify this ambiguity and prove the credibility The work of those bones, the nobility of their intent, and the purity of their mineral, may God be pleased with them, and this study was limited to one of those stages, which is the primordial plural, as an initial push in addressing this topic.

مقدمة:

فإن تاريخ القرآن الكريم من المواضيع المهمة التي ينبغي أن تعنى بها الدراسات؛ إذ كان مجالاً لظن الطاعنين في كتاب الله المبين، ولقد جاءت هذه الدراسة المتعلقة بمرحلة من مراحل تدوين كتاب الله الكريم؛ لتسد -بقدر المستطاع- باباً؛ كثيراً ما ولج منه أولئك لتنفيذ مقاصدهم، ونيل مآربهم، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

أهمية الموضوع:

إن الحديث عن مراحل الجمع التدويني للقرآن الكريم في مراحل الثلاث من الأهمية بمكان، إذ يمثل التاريخ الفعلي لانتقال القرآن عبر أجيال الأمة الإسلامية، ولقد تحمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسؤوليتهم الكاملة تجاه القضية، فأوصلوا لنا القرآن غصاً طرياً كما بدأ، ولما لم يكن من ديدنهم رضي الله عنهم التبجح بأعمالهم وذكرها والإعلان عنها، فقد اكتنف الغموض كثيراً من أروع قصصهم إثارة؛ فكيف بأيامهم العادية، وعليه فقد كانت هذه المسألة الحساسة من أشكال الأمور على كثير من أهل العلم، فضلاً عن المستشرقين وأذنبهم الذين اتخذوها مطعناً على القرآن وصحة نصه، حتى اتهموا زورا الخلفاء الراشدين بتزوير القرآن، فالحديث عن مراحل جمعه جميعاً سيحللي هذا الغموض، ويثبت مصداقية عمل أولئك العظام، ونبل قصدهم، وصفاء معدنهم رضي الله عنهم، واقتصرت في هذه الدراسة على مرحلة واحدة من تلك المراحل هي الجمع البكري، كدفعة أولية في معالجة هذا الموضوع، نسأل الله التوفيق.

إشكال الدراسة:

إن جمع أبي بكر كان في مرحلة تاريخية متقدمة جدا، إذ لم ينقطع الوحي إلا أشهرها عديدة حتى شرع فيه، ولم تمض إلا مُديدة حتى أحرز القرآن كما أنزله الله على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم. والذي أريد إظهاره من خلال هذه الدراسة؛ هو المنهج الذي سار عليه أبو بكر ومن معه رضي الله عنهم في تدوينهم للقرآن في تلك المرحلة؛ للكشف عن الأصول التي اعتمدوا عليها، والطريقة التي كتبوه بها، ومحتوى تلك الصحف، هل كان فيها كل القرآن الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم؟ أم اقتصر على ما استقر عليه الأمر قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؟ وهل كتبوه الأحرف السبعة؟ أم اقتصر على حرف واحد من حروفه؟

وعرجت في خضم البحث إلى إشكالات لطيفة؛ حاولت الكشف عنها، من ذلك العرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي قبض على جبريل (عليه السلام).

الدراسات السابقة:

الحقيقة أن هذا النوع من الدراسة قد ألفت فيه المؤلفات؛ من لدن عصر الأئمة الطبري فمن بعده؛ وإلى يومنا هذا، سواء من الدراسات الأكاديمية أو غيرها، وسواء على وجه العموم أو الخصوص، لكن قد قل في كثير من تلك الأعمال التحقيق؛ والتحليل المطابق للواقع؛ والمبني على أسس صحيحة ومنهجية، لذلك فسأحاول جهدي أن أعبر عن رأيي؛ مدليا بدلوي بين الدلاء، وسالكا مسلك الجدية والجدة في تحليل النصوص الواردة؛ لأصل إلى نتائج مُرضية في هذا الباب.

أسباب اختيار الموضوع:

كنت في رسالتي التي حصلت بها على شهادة الدكتوراه عاجلت -على سبيل التوطئة لبحثي الذي كان بعنوان "شرط موافقة الرسم العثماني دراسة نقدية"- قضية تاريخ الرسم القرآني في مراحل الثلاث: زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، واقتضى الحال أن أختصر بشدة؛ لثلا ينحرف بي الموضوع عن المقصود منه، وعزمت بعدها على أفراد هذا البحث بدراسة خاصة، فشاء الله

تعالى ذلك في هذه الورقات فله الحمد على نعمته، فأسأله سبحانه أن يقضي على أيدينا شيئاً من الخير الذي نرجوه.

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على ذكر الجمع الثاني بعد جمع النبي صلى الله عليه وسلم؛ الذي هو جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه للقرآن الكريم، وما احتف به من ظروف وأحوال، بغية الوصول إلى معرفة أصول الصحف، وطريقة جمعها، ومحتواها.

منهج البحث:

لقد قمت بتحرير مباحث هذا البحث وفق منهجين سرت عليهما بالتوازي، هما المنهج الاستدلالي الاستنباطي؛ والمنهج الوصفي، حيث أن الدراسة اقتضت استعمال المنهجين كليهما، فالأول في استنباط الأحوال والظروف التي زامت العمل؛ من خلال الأدلة النقلية وكتابات العلماء السابقين، والثاني في تحليل ذلك الواقع؛ للحصول على نتائج متوافقة مع العقل والشرع.

خطة الدراسة:

قسمت البحث بعد هذه المقدمة إلى ثلاثة مباحث وخاتمة، فجاء على هذا النسق:

المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع وإشكاله والمنهج المسلوك في تحريره، وغير ذلك مما هو مرتبط بالمنهجية العلمية.

المبحث الأول: تكلمت فيه عن أصول صحف أبي بكر رضي الله عنه؛ وأنها بين مكتوب في السطور، ومحفوظ في الصدور.

المبحث الثاني: تكلمت فيه عن منهجية أبي بكر والجماعة في جمع القرآن هذا، وأنهم سلكوا سبيلاً يضمنون به سلامة وصحة النص القرآني.

المبحث الثالث: عالجت فيه قضية العرضة الأخيرة؛ التي أثبت أن زيدا كتب القرآن عليها، وبينت مدى تأثيرها على صحف أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ في كتابتها على الأحرف السبعة.

ثم **الخاتمة:** ذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث؛ والتوصية.

مصطلحات البحث:

صحف أبي بكر: هي الأوراق التي استنسخها زيد بن ثابت في خلافة أبي بكر رضي الله عنه من المكتوبات التي كتبت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وجمعها بين دفتين. العرضة الأخيرة: هي المدرسة التي حصلت بين النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل في آخر رمضان من حياته صلى الله عليه وسلم، وقد كان يعارضه القرآن كل عام مرة، فلما كان آخر رمضان عارضه مرتين.

هذا وأسأل الله تعالى أن يوفقنا للخير، وأن يتقبل منا صالح أعمالنا، ويتجاوز عن سيئها، كما أسأله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول: أصول صحف أبي بكر.

لقد جاء التصريح من كاتب الصحف زمن أبي بكر رضي الله عنه بالأصول التي اعتمدها عند جمعه للقرآن الكريم، فروى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: "أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراءة بالمواطن؛ فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني؛ حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل؛ لا تنتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني؛ حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبع القرآن؛ أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال..."⁽¹⁾.

(1) رواه البخاري رقم (7191).

وبعد استقراء ما طالته يدي من كتب السنة وجدت الأمر لا يعدو ما جاء في هذه الرواية، اللهم إلا أن هنالك اختلافاً في أسماء المذكورات.

قال السيوطي (رحمه الله):

"وقد تقدم في حديث زيد أنه جمع القرآن من العصب واللخاف، وفي رواية أخرى: وقطع الأديم، وفي أخرى: والأكتاف، وفي أخرى: والأضلاع، وفي أخرى: الأقتاب."⁽²⁾
أقول: وجاء في أخرى الرقاع⁽³⁾، وفي أخرى من الصحف⁽⁴⁾.

وهذه الأشياء كلها تمثل المكتوب في عهده صلى الله عليه وسلم، إلا قوله وصدور الرجال، فإنه يمثل المحفوظ.

وذلك أن "العصب: جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص؛ ويكتبون في الطرف العريض.

واللخاف: بكسر اللام؛ وبجاء معجمة خفيفة؛ آخره فاء، جمع لخرة: بفتح اللام؛ وسكون الخاء، وهي: الحجارة الدقاق، أو صفائح الحجارة.

والأكتاف: جمع كتف، وهو العظم الذي للبعير والشاة، كانوا إذا جفّ؛ كتبوا عليه.

والأقتاب: هو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير؛ ليُركب عليه."⁽⁵⁾

والرقاع: جمع رقعة، وهي التي تكتب⁽⁶⁾، ومثلها الصحف: جمع صحيفة.

فذكره لهذه الأشياء ومعها صدور الرجال؛ يبين أن زيدا رضي الله عنه جمع القرآن من أصلين اثنين:

المكتوب، والمحفوظ، وسأتحدث عن هذين الأمرين الآن بتفصيل إن شاء الله تبارك وتعالى:

⁽²⁾ الإتيان في علوم القرآن (2/358).

⁽³⁾ وهي عند البخاري رقم (4679).

⁽⁴⁾ وهي عند النسائي في السنن الكبرى رقم (7941).

⁽⁵⁾ الإتيان (2/359).

⁽⁶⁾ لسان العرب مادة «رقع».

1. المكتوب: المقصود بالمكتوب هو ما كتب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، مما أوجده أمره صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تكتبوا عني شيئا إلا القرآن، ومن كتب شيئا فليمحه»⁽⁷⁾.

وقد اعتنى الصحابة رضي الله عنهم بكتابته؛ بما يليق بمقامهم الشريف رضي الله عنهم وأرضاهم، فكتبوه على ما طالته أيديهم؛ وأمكنته ظروفهم، وحفظوه في السطور؛ كما حفظوه في الصدور؛ دون أن ينقصوا منه شيئا، وليس هذا إطلاقا للكلام على عواهنه، فقد كانت هناك نخضة علمية زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة بجمع القرآن كتابة.

ومما يدل على ذلك أحاديث:

أولا: عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: "لما نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ادع لي زيدا، وليجئ باللوح والدواة والكتف، أو الكتف والدواة»⁽⁸⁾. ففي هذا الحديث نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على كتابة القرآن فور نزوله، وذلك ما يفيد التعبير بقوله: "لما نزلت ... قال".

ومما يؤيد هذا؛ رواية زيد نفسه لهذه القصة، فقد قال رضي الله عنه: "إني قاعد جنب النبي صلى الله عليه وسلم يوما؛ إذ أوحى إليه، ... ثم سري عنه، فقال: «اكتب يا زيد»، فأخذت كتفا، ... فكتبت ذلك في كتف."⁽⁹⁾.

فذلك المكتوب كتب ليحفظ حفظين؛ حفظ صدر وحفظ سطر، وليحتاج إليه يوم يعزم على جمع القرآن، وهذا يدل عليه الحديث الآتي:

(7) رواه مسلم رقم (3004).

(8) رواه البخاري رقم (4990).

(9) رواه أحمد في المسند (21664)، وأبو داود في السنن (2507) و (3975)، وسعيد بن منصور في سننه (2314)، وعنه ابن سعد في الطبقات (196/4 - 197)، ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (144/4)، والطبراني في المعجم الكبير (4851) و (4852)، والحاكم في المستدرک (81/2 - 82)، والبيهقي في السنن الكبرى رقم (17817)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: "حديث حسن صحيح".

ثانياً: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع..."(10).

ويستفاد من هذا الحديث أمور:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم أول من بدأ في جمع القرآن، قال أبو عبد الله الحاكم: "وفيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جُمع بعضه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم..."(11).

- أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتمد في ذلك على الرقاع المكتوبة وقت الوحي، هذا وهو رسول الله العالم بالقرآن وبما فيه.

- أنه صلى الله عليه وسلم في عمله هذا جمع بين أمرين اثنين، إعادة كتابة المكتوب، وتأليفه مع بعضه.

يشهد لهذا الحديث الآتي:

ثالثاً: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عثمان رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا من كان يكتب، فيقول: «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»، وإذا أنزلت عليه الآية يقول: «ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»(12).

(10) رواه أحمد في المسند (21607)، والترمذي في السنن (2954)، وابن أبي شيبة في المصنف رقم (19795) و(33133)، وابن حبان في الصحيح كما في الإحسان رقم (114)، والحاكم في المستدرک (229/2)، والطبراني في المعجم الكبير (4933)، والبيهقي في شعب الإيمان (2109). قال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي والألباني. ينظر المستدرک (2/229)، وتخریج أحاديث فضائل الشام ودمشق ص(12).

(11) المستدرک (230/2).

(12) رواه أحمد في المسند (499)، وأبو داود في السنن (399)، والترمذي في السنن (3086)، والنسائي في السنن الكبرى (7953)، والحاكم في المستدرک (330/2)، ورواه الطبري في التفسير (102/1)، وابن أبي داود في المصاحف رقم (96)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (120/1-121)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (282)، وفيه يزيد الفارسي قال الحافظ في التقريب ص(536): "مقبول". يعني حيث يتابع وإلا فليتن.

فهذا ضعيف لضعف راويه، لكنه يشهد له سابقه، وليس فيه إلا بيان وجه تأليف القرآن، فهذا يعني أنه كان صلى الله عليه وسلم يبين لهم مكان الآيات في السور ليس إلا.

ومن الروايات الدالة على عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن منذ أول بعثته صلى الله عليه وسلم قصة إسلام عمر رضي الله عنه:

رابعا: قال محمد بن إسحاق (رحمه الله): "وكان إسلام عمر فيما بلغني؛ أن أخته فاطمة بنت الخطاب - كانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قد أسلمت؛ وأسلم بعلمها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، ...، قال: فرجع عمر عامدا إلى أخته وختته، وعندهما خباب بن الأرت؛ معه صحيفة فيها: ﴿طه﴾؛ يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر؛ تغيب خباب في مخدع لهم؛ أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة؛ فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهيمنة التي سمعت؟ قالوا له: ما سمعت شيئا، قال بلى والله؛ لقد أحرقت أنكما تابعتما محمدا على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك؛ قالت له أخته وختته: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله؛ فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع؛ فارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون أنفا؛ أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتبها، فلما قال ذلك؛ قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بألته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي! إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسه إلا طاهر. فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة وفيها ﴿طه﴾ فقرأها، فلما قرأ منها صدرا؛ قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، ... "13".

وهذا من البلاغات؛ التي يستأنس بها على وجود صحف مكتوب عليها القرآن في أول أمر هذه الدعوة المباركة، وإن كان في صحيح ما سردناه من أدلة كفاية للمكتفي، والله الموفق.

وإذا نظرنا إلى هذا المكتوب؛ فإنه -بواقع الاحتمال- لن يعدو الأوضاع الثلاثة التي أذكرها:

(13) سيرة ابن هشام (1/343-345).

1- فإما أن يكون مكتوبا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، سواء أملى عليهم الحروف أم لا، فقد ورد في بعض الآثار أنه كان صلى الله عليه وسلم يملئ إملاء، حرفا بحرف:

قال أبو بكر بن أبي داود: ثنا شعيب بن أيوب ثنا يحيى قال: "رأيت في نسخة كتاب خالد بن سعيد -يعني ابن العاص-: "وأملئ النبي صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون حرفا بحرف، فإذا فيه كان: ك و ن، حتا وحتى؛ مثل: الصلاة باوا، والزكاة باوا، والحياة باوا" (14)،

وهذا الأثر ضعيف لإعضاله كما هو ظاهر، لكنه أمر غير مستبعد إطلاقا، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحسن تمجج الحروف -على أميته بأبي هو ونفسي صلى الله عليه وسلم-، إذ صح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا أقول ﴿الْمَآءَ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف.» (15).

فلا مانع -إذن- من أن يكون هو من أملئ الحروف على كتبه رضي الله عنهم، والأمران سواء، فإن ذلك كله يعد كتابة بحضرة صلى الله عليه وسلم، وهو المؤيد من عند الله تبارك وتعالى، ﴿وَمَا كَانَ رُبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مریم 64].

2- وإما أن يكون مكتوبا عن مصدر مكتوب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا يكون له نفس حكم سابقه لأنه منقول عنه حرفيا، والصحابة كانت لهم عناية شديدة بالقرآن، فلا أظن أن تقصيرا سيحصل حينذاك.

3- وإما أن يكون مكتوبا من محض حفظ الحافظ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا قد يمثله -في رأيي- تلك الصحف الفردية؛ التي كان الصحابة يكتبونها لأنفسهم، والتي -لربما- كانت فيما بعد مصاحف يعتمدون عليها، ومع أنه قد جاء في عديد من الروايات أن بعضا من الصحابة (رضوان الله عليهم) كان لهم مصاحف خاصة، لكننا لا يمكن أن نتحكم على زمان كتابتها -أكان ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم- إلا بدليل، وفي أية حال؛

(14) رواه ابن أبي داود في المصاحف رقم (334).

(15) رواه الترمذي برقم (2910)، والبخاري في التاريخ الكبير (216/1)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (1831)، وهو حديث صحيح.

فاحتمال وجود هذا النوع من الصحف؛ أو بالأحرى المصاحف الخاصة وارد، لكنه في الحقيقة لا يملك تلك القيمة التي يملكها النوعان الأولان، فقيمتها الشرعية مستقاة من إقرار⁽¹⁶⁾ النبي صلى الله عليه وسلم للموجود فيها.

وجمع زيد رضي الله عنه للقرآن في هذه المرحلة كان -ولا شك- وفق منهجية دقيقة؛ رسمها له خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه، وهذه المنهجية كانت مبنية على حيطة وحذر بالغين؛ من أجل أداء الأمانة.

لذلك اختار الخليفة أبو بكر رضي الله عنه أن يكون الاعتماد في الكتابة على النوع الأول فقط من أنواع المكتوب، أعني به النوع الذي كتب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، لا غير.

عن عروة بن الزبير (رحمه الله) قال: "لما استحر القتل بالقرء يومئذ؛ فرق أبو بكر على القرآن أن يضع، فقال لعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه."⁽¹⁷⁾.

فهذا أول الحيطة والحذر، فلم يقبل أبو بكر ما لم يشهد على كون الشيء من كتاب الله أقل من رجلين.

لكن ما المقصود بهذا الأثر؟

إن قوله: " اقعدا عند باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله." يدل دلالة ظاهرة على أنهما كانا ينتظران شيئاً محسوساً بيننا ملموساً، لا شيئاً معنوياً، فزيد مع أنه كان حافظاً لكتاب الله؛ فإنه وعمر رضي الله عنهما كانا بحاجة إلى أن يجمعا مكتوبات؛ كنزها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وادخروها، فلما احتاجا إليها؛ احتاجا إلى دليل يثبت نسبتها للنبي صلى

⁽¹⁶⁾ لأنه بحكم أميته التي هي آية من آياته صلى الله عليه وسلم لا يمكنه أن يقرأ المكتوب، ويكتفى من سنته بإقراره صلى الله عليه وسلم.

⁽¹⁷⁾ رواه ابن أبي داود في المصاحف رقم (23)، وسنده صحيح إلى عروة، لكنه لم يلق أبا بكر رضي الله عنه، فهو منقطع، وأرجو أن يكون مقبولاً لأن أبا بكر جده لأمه، وهو مع ذلك تلميذ خالته عائشة بنته رضي الله عنها، فهو أخبر القوم بما روي عن أهلهم رضي الله عنهم، وقد قال ابن كثير: "منقطع حسن." فضائل القرآن ص(59).

الله عليه وسلم؛ وأنها كتبت في زمانه على الأقل - حسبما تفيد هذه الرواية - والدليل هنا هو الشهادة، لكنهما لم يكتفيا بشهادة شهيد واحد؛ حتى يشهد معه آخر على صدق شهادته، كل ذلك تحرياً في نقل كتاب الله عز وجل.

قال علم الدين السخاوي: "ومعنى هذا الحديث - والله أعلم - من جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله الذي كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا فقد كان زيد جامعاً للقرآن." (18).
ويدل على أنهما اشترطتا أن يكون مكتوباً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن أبي داود عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: "أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن، فقام في الناس فقال: من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعصب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان." (19).

وهذا أثر ضعيف، لكنه يشهد له أثر آخر هو أدل منه على المراد وأصح، وإن لم يكن في نفس السياق، عن مصعب بن سعد (رحمه الله) قال: "قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناس... فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يأتي بالورقة والأديم فيه القرآن؛ حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً، فناشدهم: لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملاه عليك؟ فيقول: نعم،... (20)، وفي رواية: "عزمت على من عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتاني به، فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعصب فيه الكتاب فمن أتاه بشيء قال: أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟" (21).

فهذا الأثر يبين لنا على أي شيء كان الشهداء يشهدون عند عمر وزيد رضي الله عنهم زمن أبي بكر رضي الله عنه.

(18) جمال القراءة وكمال الإقراء (302/1).

(19) رواه ابن أبي داود في المصاحف رقم (33)، وهو منقطع بين يحيى وعمر رضي الله عنه، ينظر فتح الباري (9/13).

(20) رواه بهذا اللفظ ابن أبي داود في المصاحف رقم (80).

(21) عند ابن أبي داود في المصاحف رقم (81)، والحديث رواه ابن أبي شبة في تاريخ المدينة (994/3)، وابن أبي داود في الموضوعين، وقال محقق المصاحف ص(209): "إسناده صحيح".

وأرى أنني بحاجة إلى تفصيل بعض الأحداث بالتخمين؛ الذي لا يعدو الواقع المعاش:
فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينزل عليه القرآن؛ ويكتبه كما مر آنفاً، وكانت تلك المكتوبات
منها ما يبقى بحوزته صلى الله عليه وسلم، ومنها ما يتصل بأيدي الصحابة (رضوان الله عليهم)، ولما كان
الصحابة رضي الله عنهم حريصين على الخير -مع قلة أدوات الكتابة عندهم- كان ولا بد وأن يحضر
ذلك التسليم عدد منهم؛ يشتركون جميعاً في أخذ ذلك النصيب من القرآن النازل، ويتقاسمون الدور فيما
بعد، ليأخذ كل منهم نهمته من ذلك المكتوب، فبذلك يكون هؤلاء هم الشهداء على ذلك المكتوب أنه
كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وخاصة أن الجمع لم يتأخر عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
إلا أشهراً قليلة.

فكأنني بالرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، يأتي إلى عمر وزيد رضي الله عنهم عند
باب المسجد؛ معه لوح أو كتف مكتوب عليه شيء من القرآن، فلا يقبلانه حتى يأتي بشاهد يشهد معه
أنه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأخذانه منه، وينسخه زيد في الصحف التي أعدها
لذلك.

ولقد طبقاً ذلك الشرط على كل القرآن الكريم؛ سوى آية واحدة؛ فقد قبلها من رجل واحد هو
خزيمة بن ثابت الأنصاري؛ الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته تعدل شهادتين كاملتين،
أو من غيره.

ففي تنمة حديث زيد الأول قال رضي الله عنه: "حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة
الأنصاري، لم أحدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
عَلَيْكُمْ﴾ إلى آخرهما." (22).

وفي رواية: "حتى فقدت آية كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ فالتمسها، فوجدتها مع خزيمة بن ثابت، فأثبتها في سورتها." (23).

(22) سبق تخريجه.

(23) عند ابن أبي داود رقم (24).

وهذا مما يؤيد ما ذكرناه آنفاً من أنه كان يدري القرآن وآياته، فلما افتقد إحدى آياته التمسها عند الصحابة رضي الله عنهم، فلما عثر عليها أثبتتها في سورتها وفي الموضع الذي يعلمه منها. كما يدل هذا على أعظم من ذلك، وهو أنه لم يفقد شيئاً من القرآن سوى هذه الآية، فقد كان كله مكتوباً زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك تيسر جمعه فيما بعد، والحمد لله أولاً وآخراً.

2. **المحفوظ:** إن المقصود بالمحفوظ هاهنا؛ هو ما كان يستظهره الصحابة في قلوبهم من الوحي الذي أنزله رب العالمين عز وجل عليهم، فقد اشتغلوا به دهرهم، وأولوه اهتمامهم، أحيوا به لياليتهم، فقرأوه سرا وإعلاناً، خيفة وآماناً، رضي الله عنهم وأرضاهم. وقد كانوا متفاوتين في حفظه، فمنهم من يستظهره كله، كأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبي زيد رضي الله عنهم.

عن أنس رضي الله عنه أنه قال: "جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار أبيّ ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد بن ثابت."²⁴، ومنهم من كان يحفظ بعضها منه، وحرص على إتقانه بعد التحاق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة ولا ينازعني فيها أحد."²⁵، وعن عامر الشعبي قال: "وكان مجمع بن جارية قد جمع القرآن إلا سورتين أو ثلاثاً."²⁶.

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤون بقراءاتهم التي علمهم إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختلافها، وأقرّ النبي صلى الله عليه وسلم كلا منهم على حرفه. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكادت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك

²⁴ (رواه البخاري رقم (3810)، ومسلم رقم (2465)).

²⁵ (رواه أحمد (4330) و(4372) وغيره، وأصله في الصحيحين، البخاري (5000)، ومسلم (2462)).

²⁶ (رواه ابن سعد (306/2)، والطبراني في المعجم الكبير رقم (2092)).

هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت! فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت.

فانطلقت به أفوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسله! اقرأ يا هشام»، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر!»، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف؛ فاقروا ما تيسر منه». "27".

و عن أبي بن كعب أنه قال: "كنت في المسجد؛ فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر؛ فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة؛ دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه.

فأمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ، فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما... "28". فالنبي صلى الله عليه وسلم إذ قد نهاهم عن الاختلاف في القرآن؛ وجود قراءة كل منهم؛ لم يأمرهم أبداً أن يقرأ بعضهم بقراءة بعض، بل صوّب الجميع، وهو يفيد ضمناً أمره ببقاء ما كان على ما كان، وعلى ذلك كان الصحابة رضي الله عنهم بعده صلى الله عليه وسلم.

والذي يبدو لي أن تلك المكتوبات التي تحدثنا عنها قبل كانت بطبيعة الحال مختلفة كاختلاف قراءاتهم، إذ لا يعقل أن يكتب الصحابي شيئاً ويقرأ شيئاً آخر، وهذا الاختلاف كان إظهاره دائماً ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن القرآن أنزل على السبعة الأحرف.

فقد كانت الأحرف السبعة أو أكثرها متفرقة في قراءات أعيان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وهي التي علمهم إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سبقت الإشارة إليه، وعليه فإن حاجة زيد رضي الله عنه إلى شهادة الشهيدين ضرورة لا مناص منها، فقد يكون الحرف المكتوب في الرقعة أو الكتف ليس من حرف زيد الذي علمه إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه

(27) رواه البخاري رقم (2419)، ومسلم رقم (818).

(28) رواه مسلم رقم (820).

وسلم يعلم أصحابه كل الأحرف، فقد كان يفرقها بينهم كما في الروایتين السابقتين، ولم يكن تعلم الأحرف السبعة لازماً عليهم، فعلى هذا فإن احتمال موافقة قراءة الشاهد لقراءة زيد ما هو إلا واحد من سبعة، أي بنسبة أقل من 15%، حين تكون نسبة مخالفته له ستة من سبعة، أي أكثر من 85%.

ولعل هذا ما يفيد كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين قال له ولعمر رضي الله عنهم: "فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه."⁽²⁹⁾.

قال علم الدين السخاوي (رحمه الله): " ويجوز أن يكون معناه من جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله تعالى أي من الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن، ولم يزد على شيء مما لم يُقرأ أصلاً، ولم يعلم بوجه آخر."⁽³⁰⁾.

إذن فالحاجة إلى ما في صدر الحافظ ضرورية في هذه الحال، لاختلاف قراءات الصحابة، واختلاف النسخ المحوذة بأيديهم، وليس يدري من في الكتاب إلا صاحبه، فهذا ما يبين فطنة الصديق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكائه رضي الله عنه، ولعله لذلك جاء قول الحافظ ابن حجر (رحمه الله): "وكان المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب."⁽³¹⁾، والله أعلم.

المبحث الثاني: منهج الجمع وطريقته.

إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يستعمل إلا زيदा وعمر رضي الله عنهم؛ ولم يحتج إلى أن يكلف جماعة لهذا المشروع العظيم؛ علم أن هذا المشروع لم يحتج إلى أكثر منهما، وهو غير المشروع الذي قام به عثمان رضي الله عنه، حين استعمل لجنة كثيرة العدد من الكتّاب والممليين.

والذي يبدو - من خلال النصوص القليلة التي سبق إيرادها في المبحث السابق - أن دور زيد رضي الله عنه لم يكن سوى مجرد نقل ما عند الناس من مكتوب؛ دون أن يزيد عليه أو ينقص، ولا شك أن ذلك كان وفق منهجية دقيقة - ارتضاها الخليفة - كان الأساس فيها الاحتياط لكتاب الله تعالى.

⁽²⁹⁾ سبق تخريجه

⁽³⁰⁾ جمال القراءة (86/1).

⁽³¹⁾ فتح الباري (9/14-15).

وإذا أردنا أن نصور الواقع الذي حفّ هذا الجمع؛ والطريقة التي اتخذت -آنذاك- فإنه يمكن القول

إن الخليفة أبا بكر سلك الطريقة الآتية:

1. اختيار الرجل المناسب للمهمة: فبعد أن كان اقتراح المشروع من عمر على الخليفة؛

وبعدما اقتنع الخليفة بضرورة هذا المشروع؛ كان لا بد من تكليف الرجل المناسب لهذه

المهمة، ووقع الاختيار بداهة على زيد بن ثابت رضي الله عنه، لشروط توفرت فيه لم

تكن -ربما- تتوفر في غيره، ففي حديث زيد رضي الله عنه قال: "فقال أبو بكر: إنك

رجل شاب عاقل ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم،

فتتبع القرآن فاجمعه." (32).

ففي قول أبي بكر هذا ما يدل على أن زيدا رضي الله عنه كان رجلا جمع بين جلد الشباب

وحكمة وعقل الكهول، فجمعه للأمرين أمر معين لمهمة شاقة كهذه، إذ هي تحتاج إلى صبر وتحمل لا

يطيقه الشيوخ ربما، وإلى رزانة وعقل لا ينفع معه طيش.

والأمر الآخر: كون زيد كان رجلا موثوقا في دينه وفي أمانته، ومثل هذه المشاريع المصيرية، التي

تحمل مصير أمة كاملة؛ هي أفضل الأمم على الإطلاق؛ لا بد فيها من اختبار الأكفاء من الرجال

الجامعين لشروط العدالة والضبط، كما هو الحال في رواة الحديث.

والأمر الأهم على الإطلاق هاهنا؛ ولأجله عبرت بقولي إن الاختيار وقع على زيد بداهة؛ هو كون

زيد رضي الله عنه كان كاتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه أهم الصفات التي تعبر في

الحقيقة عن الصفات السابقة، فاختيار النبي صلى الله عليه وسلم له من جملة الشباب الذين كانوا بين

يديه؛ لدليل على تفضّله عليهم بكثير من الصفات التي تجعله صاحب المهمة في أطوارها الثلاثة، فقد

كتب القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم ابتداء، ثم استعان به صلى الله عليه وسلم في تأليف القرآن، ثم

أوكل إليه الصديق جمعه، ثم اعتمده عثمان في جمعه الأخير، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

(32) سبق تخرجه.

يقول الحافظ ابن حجر: "ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك: كونه شابا فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلا فيكون أوعى له، وكونه لا يتهم فتركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له، وهذه الصفات التي اجتمعت له قد توجد في غيره لكن متفرقة." (33).

وقال الإمام أبو عمرو الداني (رحمه الله وأجزل له المثوبة): "إنما كان ذلك لأشياء كانت فيه، ومناقب اجتمعت له؛ لم تجتمع لغيره، منها أنه كتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، وأنه جمع القرآن كله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن قراءته كانت آخر عرضة عرضها النبي على جبريل (عليهما السلام).

وهذه الأشياء توجب تقديمه لذلك؛ وتخصيصه به، لامتناع اجتماعها في غيره، وإن كان كل واحد من الصحابة (رضوان الله عليهم) له فضله وسابقته، فلذلك قدمه أبو بكر رضي الله عنه لكتاب المصاحف، وخصه به دون غيره من سائر المهاجرين والأنصار..." (34).

ونص الداني هذا -يزيدنا على ما ذكرنا من وصف زيد- أمرين آخرين لم يذكرهما أبو بكر رضي الله عنه، وهما:

- كونه جمع القرآن كاملا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا أمر في غاية الأهمية، فسوف يخضع ولا شك تلك المكتوبات لتقييمه الخاص المبني على رصيد علمي؛ ليس هو إلا ما يستظهره من القرآن الكريم، وهو وإن كان يشاركه في هذه الصفة غيره من الشباب كعماد بن جبل وأبي الدرداء، لكننا لم نقف على أنهما كانا من كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم (35).

- والأمر الآخر الذي ذكره الداني، وهو كون قراءته كانت آخر عرضة عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل، فهذا يحتاج إلى استدلال وتفصيل وتوضيح ليس هذا موضعه، وستكلم عنه في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

(33) فتح الباري (13/9).

(34) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص(124).

(35) ينظر لأجل ذلك جمع القرآن لأكرم عبد الدليمي ص(38) وما بعدها، فقد ذكر جميع كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم.

2. الإعلان عن المشروع في الناس: وذلك ليعلم القوم أن هذا المشروع مشروع دولة ونظام وحاكم، لا قرار فردي اتخذه زيد، ولكي يبذل المسلمون له يد العون، ويحرصوا على تزويده بتلك الكنوز التي كانوا يحبونها لأنفسهم، والتي تربطهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، بل تربطهم بالوحي الشريف غضا طريا، فما أكثر ما كان يفخر الواحد منهم بأنه أول من سمع تلك الآية أو السورة.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفح جبل ... وأنزلت عليه: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَأَلْعِصِفْتِ غَصْفًا﴾ [المسلمات: 1-2]، فأخذتها وهي رطبة بفيه، أو فوه رطب بها." (36).

ولكي يبلغ المشروع صدها الواسع، كلف أبو بكر رضي الله عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليقوم بهذه المهمة، فعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: "أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال: من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب." (37).

وعن قوله: "أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن"، قال ابن كثير (رحمه الله): "ومعناه أنه أشار بجمعه فجمع، ولهذا كان مهيمنا على حفظه وجميعه، ... وذلك عن أمر الصديق له في ذلك." (38).

3. جمع تلك المكتوبات من عند الناس: على أي نوع من أنواع المادة كان، سواء كتفا أو جريد نخل أو لوحا أو رقعة، وما إلى ذلك، قال زيد رضي الله عنه: "فتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال." (39).

(36) رواه أحمد رقم (4335)، وحسن محققه إسناده.

(37) رواه ابن أبي داود في المصاحف رقم (33)، وهو منقطع بين يحيى وعمر رضي الله عنه، ينظر فتح الباري (13/9).

(38) فضائل القرآن ص (59).

(39) مضى تخريجه.

وقد تحدثت في المبحث الماضي عن الشرط الذي وضعه الخليفة رضي الله عنه لقبول تلك المكتوبات، وهو أن يشهد شاهدان من الصحابة على أن ما فيها هو من كتاب الله تعالى، والدليل على ذلك أثران:

الأول: أثر عروة بن الزبير: "لما استحر القتل بالقراء يومئذ؛ فرق أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله؛ فاكتباه." (40).

والثاني: أثر يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، وأنا هنا أريد إيراده على وجهه، ثم أبين وجه الشاهد والمأخذ عليه.

عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: "أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال: من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعصب، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان، فقتل وهو يجمع القرآن، فقام عثمان بن عفان، فقال: من كان عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به، وكان لا يقبل من ذلك شيئا حتى يشهد عليه شهيدان، فجاء خزيمه بن ثابت، فقال: إني قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما، قالوا: وما هما؟ قال تلقيت من رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إلى آخر السورة، قال عثمان: فأنا أشهد أنهما من عند الله، فأين ترى أن نجعلهما؟ قال: احتتم بها آخر ما نزل من القرآن، فختمت بهما براءة." (41).

فهذا الأثر فيه ضعف من قبل إسناده، حيث أن يحيى بن عبد الرحمن لم يسمع من عمر، وإنما يروي عن أبيه عن عمر رضي الله عنه (42)، فهو إذن منقطع.

وكذا فيه نكارة في متنه، حيث نسب الجمع الأول إلى عمر لا إلى أبي بكر، لكن كل ما فيه يحتمل التأويل ضرورة للجمع بينه وبين النصوص الصحيحة.

(40) مضى تخريجه.

(41) سبق تخريجه أيضا.

(42) تهذيب الكمال (437-436/31).

فأما قوله: "أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن." فيمكن حمله على قول ابن كثير (رحمه الله تعالى) السابق: "ومعناه أنه أشار بجمعه فجمع، ولهذا كان مهيمنا على حفظه وجمعه، كما رواه ابن أبي داود ... عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أن عمر لما جمع القرآن كان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان، وذلك عن أمر الصديق له في ذلك..."⁽⁴³⁾.

وأذكر ما فيه هو قوله: "فقتل وهو يجمع ذلك إليه." فكأنه يزعم أن عمر لم يُتمّ الجمع، وأن من أمته هو عثمان بعده، وهذا فيه خلط بين الجمعين البكري والعثماني، فإن كان جمع عمر هو الأول، فلا علاقة له بالثاني، وإن كان هو الثاني فإنه لم يحتج إلى ما احتاج إليه عمر في جمع أبي بكر، لكن الذي يبدو لي أن هناك اختصارا في القصة، والمراد في ذلك -والله أعلم- من قوله: "فقتل وهو يجمع ذلك إليه." أنه لما قام بذلك عمر زمن أبي بكر بقيت الصحف عنده في بيته زمن خلافته إلى أن قتل وهو يجمع تلك الصحف المجموعة إليه، أي مات والصحف مجوزته، وهذا ما يستفاد من قوله: "يجمع ذلك إليه."

والمقصود أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يأتون زيدا وهم يحملون الكنز الذي يملكونه من القرآن الكريم، ويحملون معه شهادتهم بذلك، ولا يبعد أن يكون الشهداء أكثر من اثنين على الكتاب الواحد، كما لا يبعد أن يشهد زيد وعمر وحتى الخليفة أبو بكر معهم على شيء ما، خاصة إذا كان بخط يده، فقد كانوا جميعا من الكتاب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

وإن شئنا أن نزيد شرحا للواقع آنذاك، فإن زيدا سينظر إلى ذلك المقدم إليه بعد حصول الشهادة على ما فيه، ويكتبه عنده على الصحف التي هيأتها الخلافة، ويرقمه كما هو من غير زيادة أو نقصان.

4. نسخ تلك المكتوبات: فكان يكتبها عنده في صحف تمت تهيئتها من قبل، حتى تكون

أدعى للحفاظ على القرآن الموروث من النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا؛ كما كان في

زمانه صلى الله عليه وسلم.

والطريقة التي كان يدون بها لا تعدو أحد الأمرين:

⁽⁴³⁾ فضائل القرآن ص(59).

فإما أن يكون قد اجتهد في ترتيب القرآن على وفق ترتيبه المصحفي اليوم آيات وسورا، أو على الأقل رتب آيات السورة الواحدة تلو الأخرى، فيكتبها متتابعة، وهذا ما أستبعده.

وإما أنه كان ينسخ كل وحدة من تلك المكتوبات في صحيفة مفردة، أو في وجه منها، ليعمل نسخا ثانية لها وحسب، وهذا الذي أميل إليه، وسأثبت حجته في المبحث القادم إن شاء الله تعالى. ولا شك أن هذه الصحف اختيرت من أفضل أنواع ما يكتب عليه في ذلك الوقت، مما يمكن توفيره، فعن ابن شهاب عن سالم وخارجة: "أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان جمع القرآن في قرطيس." (44).

والقرطاس هو: الصحيفة من أي شيء كانت (45)، والغالب على الظن أنها كانت رقاقا من جلود، لعدم اتصالم في ذلك الزمان بالحضارات المجاورة بعد. يقول جرجي زيدان: "وأما القرطاس فأقدم ما كتب به العرب من أول الإسلام الرق، وهي الجلود، ... فلما كانت أيام الدولة العباسية اتخذوا الكاغد، ... والأرجح أنهم أخذوه عن الصينيين، ... فلما فتح المسلمون سمرقند أخذوها عنهم ..." (46).

وهذا ما أشار إليه المؤرخ أحمد بن علي القلقشندي في كتابه صبح الأعشى، قال: "وربما كتب النبي صلى الله عليه وسلم بعض مكاتباته في الأدم، ... وأجمع رأي الصحابة رضي الله عنهم على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه، أو لأنه الموجود عندهم حينئذ، وبقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة؛ وقد كثر الورق؛ وفشا عمله بين الناس؛ أمر أن لا يكتب الناس إلا في الكاغد، لأن الجلود ونحوها تقبل الخو وإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق فإنه متى محي منه فسد، وإن كشط ظهر كسطه، وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار، وتعاطاها من قرب وبعد، واستمرّ الناس على ذلك إلى الآن." (47).

(44) رواه ابن أبي داود رقم (30)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (304/5).

(45) ينظر المحكم والمحيط الأعظم (611/6).

(46) تاريخ التمدن الإسلامي (1/250-251).

(47) صبح الأعشى في كتابة الإنشا (516-515/2).

ومما يدعم هذا ما جاء في وصف المصحف الذي عثر عليه بالمشهد الحسيني بمصر إذ جاء في وصفه في تقديم القائمين عليه بوزارة الأوقاف المصرية قولهم: "هذا المصحف يتكون من 1087 ورقة من الرق من القطع الكبير..."⁽⁴⁸⁾.

5. صف تلك الصحف وجعلها في ملزمة واحدة: فعند الانتهاء من العمل الذي لم نذكر محتواه إلى الآن؛ وأرجأناه إلى المبحث القادم، لا شك أن جامعي القرآن تحصلوا على كم هائل من الصحائف المدونة من القرآن الكريم وآياته وسوره، وكان الهدف الأول أن تحفظ في مكان واحد لتكون قريبة ممن يريد مراجعتها، فلا يحتاج إلى البحث عن ممالك أصولها من الصحابة رضي الله عنهم، سواء وجدهم أم لا، وقد جاء عن علي رضي الله عنه قوله: "رحم الله أبا بكر، هو أول من جمع بين اللوحين."⁽⁴⁹⁾، وفي رواية: "أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر، رحمة الله عى أبي بكر، هو أول من جمع بين اللوحين."⁽⁵⁰⁾.

فذكره للوحين يفيد أن زيدا رضي الله عنه لما أنهى عمله جعل هو أو غيره ألواحا على جانبي الصحف، واحدة من أعلى وواحدة من أسفل، واللوح: "كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب"⁽⁵¹⁾، ميزتها القساوة، استعملت هنا لحفظ ما بينهما.

ومن ثم يمكن تخيل هذا الكتاب المؤلف، وهو على شكل صحائف من جلد؛ ذات عدد كبير جدا، جُمعت بين صفيحتين أو لوحتين، فلا شك أنه سيكون ضخما كبيرا، خصوصا إذا استصحبنا معه

⁽⁴⁸⁾ يراجع لذلك ملتقى أهل التفسير: <http://vb.tafsir.net/tafsir9751/#.WCeVcskVbIU>

⁽⁴⁹⁾ رواه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (30856) و(36901) و(36902)، وعبد الله بن الإمام أحمد في فضائل الصحابة رقم (220)، وابن أبي داود في المصاحف رقم (14) و(15) و(16) و(17) و(18) و(19) و(20)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة رقم (106) و(107)، وإسناده حسن، لأن السدي وهو إسماعيل بن عبد الرحمن "صدوق بهم" كما في التقريب ص(48).

⁽⁵⁰⁾ عند أبي داود رقم (15).

⁽⁵¹⁾ المحكم والمخيط الأعظم (13/4).

صورة ذلك المصحف الذي عثر عليه في المشهد الحسيني وضخامته (52)، فهذه الصحف كانت أكبر منه حتماً.

وبعد انتهاء العمل منها حملت تلك الرزمة إلى بيت أبي بكر لتودع فيه، ليكون القرآن في أمان من الضياع إذا مات شهادؤه ونقلته؛ الذين سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، أو إذا حصل أي شيء لتلك الأصول التي كتبت عليها هذه الصحف.

يقول زيد رضي الله عنه: "وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر." (53).

6. إعادة المكتوبات إلى أصحابها ليحفظوها عندهم: من خلال الروايات الواردة؛ ظهر

لي أن زيدا رضي الله عنه كان يستلم الرقعة أو الكتف أو اللوح وما شابهه من صاحبه لكتابة ما فيه ليس إلا، ثم يعيد النسخة الأصلية لصاحبها؛ ليحفظها من جديد عنده، إذ كانوا يعدونها كنوزاً لا ينبغي أن تُفقد، وقد أشرت إلى هذا الأمر أنفاً، ولم يكن أبو بكر رضي الله عنه قد أمر بتأميمها -إن صحت العبارة- ولا بإتلافها.

ودليلي على ذلك أثر مصعب بن سعد السابق الذي قال فيه: "قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناس! ... فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يأتي بالورقة والأديم فيه القرآن؛ حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً، فناشدهم: لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أملاه عليك؟ فيقول نعم، ... " (54)، وفي الرواية الأخرى: "فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعصب ... " (55).

(52) تنظر الصورة في قسم الملحقات.

(53) تنمة حديث زيد الأول، وقد مضى تخريجه.

(54) سبق تخريجه.

(55) عند ابن أبي داود برقم (81).

فهذه الأشياء - أعني الورقة والأديم واللوح والكتف والعصب - التي أتوا بها إلى عثمان رضي الله عنه حين أراد جمع القرآن؛ هي الكتابات نفسها التي أحضروها يوم طلب منهم ذلك أبو بكر رضي الله عنه، وهذا يفيد أن زيدا كتب ما فيها في الجمع الأول، ثم أرجعها إلى أصحابها قطعاً، كما مضى، والله أعلم.

يقول خير الدين الزركلي (رحمه الله): "وكان أبو بكر قد جمعه وأبقى ما بأيدي الناس من الرقاع والقراطيس، فلما ولي عثمان طلب مصحف أبي بكر فأمر بالنسخ عنه وأحرق كل ما عداه."⁵⁶.

المبحث الثالث: محتوى الصحف.

لسنا نشك أن الذي كان في هذه الصحف - التي جمعها زيد رضي الله عنه - قرآن أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن الذي عقد من أجله هذا المبحث هو ما نوع ذلك القرآن الذي كتب في تلك الصحف؟

فالقرآن الكريم أنزل - كما هو مقرر في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة - على أحرف سبعة، وهذه الأحرف كانت موزعة في قراءات الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانوا يتحدثون في الحرف والآخِر بناء على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم في إقراءهم، كما كان الأمر في قصة عمر وهشام⁵⁷، وقصة أبي بن كعب مع الرجلين⁵⁸، وبين ابن مسعود ورجلين رفعهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم⁵⁹ وبين عمرو بن العاص ومن اختلف معه منهم رضي الله عنهم⁶⁰، هذه زاوية.

⁵⁶ (الأعلام 210/4).

⁵⁷ سبق تخريجه.

⁵⁸ سبق تخريجه أيضاً.

⁵⁹ رواه أحمد في مسنده رقم (3803)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان رقم (747)، والطبري في التفسير (23/1)، والحاكم في المستدرک (223/2-224)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "سمعت رجلاً يقرأ حم الثلاثين - يعني الأحقاف - فقرأ حرفاً، وقرأ رجل آخر حرفاً لم يقرأه صاحبه، وقرأت أحرفاً، فلم يقرأها صاحبي، فانطلقنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرناه، فقال: «لا تختلفوا، فإنما هلك من كان قبلكم باختلافهم». قال الذهبي في التلخيص بما مش المستدرک: "صحيح".

⁶⁰ رواه أحمد في المسند (17821)، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص (337-338) عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص قال: "سمع عمرو بن العاص رجلاً يقرأ آية من القرآن، فقال: من أقرأكها؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير هذا، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أحدهما: يا رسول الله آية كذا وكذا ثم قرأها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هكذا أنزلت»، فقال الآخر: يا رسول الله! فقرأها على رسول الله صلى الله عليه

وزاوية أخرى ينبغي ملاحظتها، هو أن القرآن الكريم كان منه ما غيرٍ ونسخ وبدل، مصداقاً لقوله

تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة 106]

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: "أقرؤنا أبيّ، وأقضانا عليّ، وإنا لنَدع

من قول أبيّ، وذلك أن أبا يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله

تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ

نُنسِهَا﴾. "61".

وعن ابن عمر رضي الله عنهم: قال: "لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله، وما يدريه ما كله؟

قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقبل: قد أخذت منه ما ظهر." 62.

وعن زر بن حبیش قال: "قال لي أبيّ بن كعب: كأبيّ تُعدّ سورة الأحزاب؟، قلت: اثنتين وسبعين

آية، أو ثلاثة وسبعين آية، قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم" 63.

إذن؛ فالقرآن الكريم قد كان أكثر مما هو عليه الآن، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلتحق

بالرفيق الأعلى حتى استقر شأن القرآن على ما هو عليه؛ وفق ما أراد الله أن يكون عليه، وبلغ رسول الله

صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين، وأعلم أمته بما هو من القرآن؛ وبما غيرٍ وبدل ونسخ، لا يتمارى في

ذلك اثنان، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة 3].

والذي أود دراسته في هذا المبحث هو محتوى تلك الصحف التي وضعها أبو بكر رضي الله عنه،

بهدين الاعتبارين، الأول: على أي حرف كانت؟ والثاني: هل حوت ما غيرٍ وبدل أم لا؟

وسلم، وقال: أليس هكذا يا رسول الله؟ قال: «هكذا أنزلت»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأبي ذلك قرأتهم فقد أصبتم، ولا تماروا فيه، فإن المرء فيه كفر» أو «آية الكفر». قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: "حديث صحيح".

⁶¹ (1) رواه البخاري رقم (5005).

⁶² (2) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص(320).

⁶³ (3) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص(320-321).

ففي القضية الأولى تعوزنا النصوص الصريحة المتحكمة على الواقع في ذلك الزمن، لكن لو لجأنا إلى عمل زيد وما قام به يومها، فقد ذكرت في المبحث الماضي أنه إنما نقل ما كان عند الصحابة (رضوان الله عليهم) في مکتوباتهم إلى صحفه التي بين يديه، وأنه جعل لكل وحدة منها نسخة ثانية ولم أبين دليلي على ذلك؛ حيث أرجأته إلى هنا، وهأنذا أسوق أدلتي كما وعدت:

الدليل الأول: أن هذا التأليف -على جلالته وعظمته- لم يأخذ مسمى المصحف، فكل الروايات التي تذكر هذه الحادثة تطلق على نتيجة ذلك العمل اسم الصحف، ولا شك أن لذلك سببا، بل هي أسباب عدة، من أهمها أن القرآن لم يكن فيها مکتوبا بالصفة المرتبة التي هو عليها اليوم، إذ لو كان كذلك لسمي مصحفا.

ثانيا: أن تلك الصحف لم تكن في متناول الناس، ولا عمل عليها نسخ لتبعث إلى الأمصار، مع شدة حاجة المسلمين في زمان عمر إلى كتاب يقرؤونه، واكتفى رضي الله عنه بإرسال الرجال المعلمين فقط، فدل على أن محتوى هذه الصحف لم يكن جاهزا للتوزيع، بل كان بحاجة إلى خدمة أخرى سيتولاها أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه في عهده.

ثالثا: لو كانت تلك الصحف مرتبة ترتيبا صحفيا؛ لكان كافيا يوم أن احتاج إليها المسلمون زمن الخليفة عثمان أن تنسخ منها نسخ مماثلة؛ يقوم بها زيد وجماعة من الكتاب؛ دون أن تشهر القضية ذاك الإشهار؛ ويعلن عنها؛ ويجمع لها المکتوبات من جديد، ويجوز بسببها عثمان رضي الله عنه فضلا عظيما، أما وقد كان هناك جهد واضح مبذول زمن عثمان؛ فلا يدل إلا على أن ثمة فرقا بين الجمعين، وتباينا بين الناتجين.

ولا يمنع هذا -إطلاقا- من أن يحرص زيد على تصنيف تلك الصحف حسب مواضع آياتها في كل سورة، فيرتبها كما علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هذا هو الذي حصل في نظري، وهو الذي نص عليه بعض العلماء، لكن الذي أنفيه هو التابع الكتابي أي أن تكون الآيات مکتوبة فيها مرتبة متتابعة منظمة آية تلو آية ليس إلا.

يقول الحافظ ابن حجر: "الفرق بين الصحف والمصحف: أنّ الصحف: الأوراق المجردة التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر، وكانت سورا مفرقة؛ كل سورة مرتبة بأياتها على حدة، لكن لم يرتب بعضها أثر بعض، فلما نسخت ورتبت بعضها أثر بعض صارت مصحفاً" (64).
وقد يتساءل المرء عن المانع الذي يمنعه من ترتيب القرآن على وفق هذه الصفة المعهودة الآن، فأقول:

إن الصحابة (رضوان الله عليهم) كانوا هم حملة القرآن زمن النبي صلى الله عليه وسلم محفوظا ومسطورا، ولقد علمنا أن قراءتهم كانت مختلفة؛ من خلال الأحاديث التي أثبتت ذلك؛ وأيضا من خلال ورود النهي عن نبينا الكريم (صلوات ربي عليه وأتم التسليم) عن أن يختلفوا على القرآن؛ ويتماروا فيه، لأن كلا من عند الله.

فإذا كانت قراءتهم مختلفة؛ فقد كانت -ولا شك- مكتوباتهم مختلفة، كل منها على قراءة صاحبه، إذ لا يعقل أن يملي النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً شيئاً ويأمره بكتابة شيء آخر، أو يكتب هو من عند نفسه شيئاً آخر، فقد مر معنا أن عثمان كان يناشدهم رجلا رجلا: "أنت سمعته من رسول الله، وهو أملاه عليك؟". والشاهد من القصة أنهم كانوا يشهدون بهذا.

إذن؛ فقد كانت مكتوباتهم كما أسلفت مثل مقروءاتهم، مختلفة باختلاف أحرفها السبعة (65)، وهي نفسها المكتوبات التي أحضرها يوم أن طلب منهم أبو بكر رضي الله عنه ذلك.

ولم يكن دور زيد -كما سبق- غير نسخها على صحفه تلك بالأحرف السبعة المختلفة، لا ينقص منها شيئاً، وقد رأينا حرص أبي بكر على استشهاد الشهداء على قرآنية المكتوب، لأن الصحابة -وزيدٌ أحدهم- لم يكونوا يدرون جميع تلك الأحرف التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع أصحابه وأملاها عليهم، يقول الإمام أبو عمرو الداني: "ولم يلزم أمته حفظها كلها ولا القراءة بأجمعها بل

(64) فتح الباري (18/9).

(65) يقابل مع ذلك المعجزة الكبرى لمحمد أبي زهرة ص(37) حيث يقول: " وإنَّ الحروف السبعة كانت في قراءة القرآن لا في كتابته، وأن استئذان النبي صلى الله عليه وسلم كان في القراءة لا في الكتابة"، ولم يقم الشيخ (رحمه الله) دليلاً على ذلك.

هي مخيرة في القراءة بأي حرف شاءت منها... "66"، وإنما كانوا يدرون ما يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بنفسه، وما يسمعون منه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ونحوها؛ أو من بعضهم مما قد يخالف ما عندهم، فيعلمون أنه من عند الله حقا، فلزم -إذن- أن الصحف كتبت على الأحرف السبعة⁽⁶⁷⁾.

وهذا -حقيقة- يمنع أن تشكل هذه الصحف المكتوبة بهذه الطريقة مصحفا متناسقا، لأنك ستجد فيها صحفا بآيات مكررة بأحرف مختلفة، ولم لا تتكرر بعض الآيات بحرف واحد إذا كان الحرف نفسه كتبه أكثر من رجل. والله أعلم.

ومما أستند عليه من الأدلة النقلية بخصوص هذه القضية ما يلي:

أولا: في حديث أنس بن مالك الذي قص فيه قصة الجمع العثماني يقول رضي الله عنه: "فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير، أن انسخوا الصحف في المصاحف، وقال للرهط القرشيين الثلاثة: ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش، وإنما نزل بلسانهم..."⁽⁶⁸⁾.

فاحتمال الاختلاف بينهم كان واردا، حتى لو لم يختلفوا مادام الخليفة قد حدد لهم وجه الترجيح، ولقد اختلفوا حقيقة في تاء التابوت، ولا يمكن أن يختلفوا إلا إذا كان هناك أصل مختلف، إذ لا يعقل أن تكون بين أيديهم نسخة متفقة ثم يختلفون، فهذا يدل على أن الصحف التي نسخوها كانت سبب

⁽⁶⁶⁾ جامع البيان ص(29).

(67) وكذلك الصحابة هموا من بعدهم عن جعل اختلاف الأحرف السبعة ذريعة للاختلاف بينهم، يذكرني هذا بالموقف الذي روي عن ابن مسعود رضي الله عنه لما جاء إليه بعد ذهاب فورة الغضب عنه يوم أن أمر بترك مصحفه، عن فلانة الجعفي قال: "فرعت فيمن فرغ إلى عبد الله في المصاحف فدخلنا عليه، فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين، ولكن جئنا حين راعنا هذا الخبر، فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وإن الكتاب قبلكم كان ينزل من باب واحد على حرف واحد...". رواه ابن أبي داود في المصاحف رقم (65).

وهذا يعني أنه ناهم عن الاختلاف، وأعلمهم أنهم مصيبون على أي حرف قرؤوا فلا داعي للانتفاض والمعارضة والتحامل، فإن كلا من عند الله، وإنهم لن يخسروا شيئا إذا قرؤوا بقراءة هذا أو ذلك.

⁽⁶⁸⁾ رواه البخاري رقم (3506).

خلافهم، فقد وجدوا بها أصلين، أحدهما فيه "التابوت" بالتاء والآخر فيه "التابوة" بالهاء، وكان الفصل من الخليفة، والترجيح لحساب لغة قريش.

أضف إلى ذلك أن قوله: "فاكتبوه بلسان قريش، وإنما أنزل بلسانهم"، يدل على أن الصحف كانت تحوي أحرفا على لغات غير لغة قريش، وأن الذي ينبغي عليهم هو اختيار لغة قريش من تلك اللغات، فتلك اللغات هي من الأحرف السبعة الموجودة في الصحف.

ثانيا: أيضا في الجمع العثماني الذي كان الاعتماد فيه على صحف أبي بكر كبيرا جدا، نرى هناك اختلافا؛ لكن قد كان له نوع آخر من المعالجة.

عن مالك بن أبي عامر وكان من كتاب المصاحف قال: "فرما اختلفوا في الآية، فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعله أن يكون غائبا أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها حتى يجيء، أو يُرسل إليه."⁽⁶⁹⁾، وفي رواية: "فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة، فيقال: كيف أقرأك رسول الله كذا وكذا؟ فيقول: كذا وكذا، فيكتبونها وقد تركوا لها مكانا."⁽⁷⁰⁾.

إن هذا الأثر عجيب حقيقة، فقد أقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا وكثيرا من الصحابة، ثم هاهو يترك مكانا لآية حتى يسأل غيره عنها، والغريب أن بين يديه الصحف التي كتبها هو بيده زمن أبي بكر الصديق، لم يطرأ عليها طارئ، ولم يحصل لها شيء، فما الذي يدفعهم إلى ذلك، لا شك أنه التحري، لكنّ هناك سببا وجيها يجعلهم يفعلون هذا؛ ولا يعتمدون على ما في الصحف التي بين أيديهم، ولا على حفظ زيد رضي الله عنه، ولست بصدد الإجابة عن هذا الإشكال؛ بقدر ما أريد أن أثبت أن وجود مانع من الموانع في الصحف هو الذي ألجأهم إلى سؤال الصحابي، وقد يكون -تحقيقا لا شكًا- الاختلاف بين الأوجه المكتوبة بها تلك الصحف، وذلك الاختلاف من الأحرف السبعة.

⁽⁶⁹⁾ رواه ابن أبي داود في المصاحف رقم (71)، وقال محققه ص(206): "موقوف صحيح الإسناد."

⁽⁷⁰⁾ رواه الطبري في التفسير (61/1)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (132/8).

ثالثاً: اختلاف قراءات الصحابة بدأ منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم، بإذن من الله تعالى، ولم يحصل بعد النبي صلى الله عليه وسلم توجيه لهذا الاختلاف لا زمن أبي بكر ولا زمن عمر رضي الله عنهما، رغم شدة عمر وحرصه على ضبط أمور الدين بين المسلمين، وقد كان مسموحاً لابن مسعود وأبي زيد ومعاذ وغيرهم أن يقرؤوا بحروفهم دون مساءلة أو اعتراض من الخليفين، واختلافهم هذا كان من اختلاف الأحرف السبعة، وكانت الصحف موجودة زمن عمر رضي الله عنه، فهو إذ لم ينكر على أحد منهم شيئاً من ذلك فهو يدل على أن قراءاتهم أو حروفهم - بالأحرى - كانت جميعها مدونة في تلك الصحف، لأنهم دونوا جميع القرآن، أو لأمرهم بتدوينها إذا لم تكن دوت، أو لمنعهم من القراءة بها إذا كانت مما لم يثبت.

ولقد نص الأئمة سلفاً وخلفاً على هذه القضية، أعني احتواء الصحف البكرية على الأحرف السبعة، فقال الشاطبي (رحمه الله تعالى) في رائيته:

زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ الْعَدْلُ الرَّضِيُّ نَظَرًا	فَأَجْمَعُوا جَمْعَهُ فِي الصُّحُفِ، وَاعْتَمَدُوا
بِالنُّصْحِ وَالْجِدِّ وَالْحَزْمِ الَّذِي بِهِرًا	فَقَامَ فِيهِ بِعَوْنِ اللَّهِ يَجْمَعُهُ
بِالْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الْعَلِيَّا كَمَا اشْتَهَرَا ⁽⁷¹⁾	مِنْ كُلِّ أَوْجِهِهِ، حَتَّى اسْتَتَمَ لَهُ

قال الجعبري في شرح أبيات الشاطبي هذه: "ودلّ قوله: حتى استتم له بالسبعة الأحرف، على أن زيدا كتب القرآن كله بجميع وجوه قراءاته؛ المعبر عنها بالسبعة الأحرف، وليس في كلام أبي بكر وزيد رضي الله عنهم تصريح بذلك، بل هو مفهوم سياق كلامهما، لأن أبا بكر رضي الله عنه أمر بكتابة القرآن كله، وكل حرف من الحروف السبعة بعض من أبعاض القرآن، فلو أدخل ببعضها لم يكن قد كتب القرآن كله، وتبعه في تلك الأشياء ظاهر في طلب الظفر بمتفقته ومختلفه."⁽⁷²⁾

وقال العلامة ابن الجزري: "وذلك أن المصاحف التي كتبت في زمن أبي بكر رضي الله عنه كانت محتوية على جميع الأحرف السبعة."⁽⁷³⁾

(71) عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، ص(3).

(72) جميلة أرباب المراصد شرح عقيلة أتراب القصائد، مخطوط ق(27-28).

(73) منجد المقرئين ص(22).

ويقول محمد طاهر الكردي: "إن أبا بكر رضي الله عنه لم يجمع القرآن لحدوث خلل في قراءته، وإنما جمعه خوفاً من ذهاب حملته؛ بقتلهم في الغزوات، وكان جمعه له بالأحرف السبعة، والناس يقرؤون بما إلى زمن عثمان، فلا يختلف مصحف أبي بكر عما يقرؤه الناس ويحفظونه." (74).

ويقول الزرقاني: "ومن المتفق عليه؛ أن هذه الصحف كتب فيها القرآن بحروفه السبعة التي نزل عليها." (75).

وأما القضية الثانية، فعلى أي وجه جمع زيد رضي الله عنه القرآن في هذه الصحف؟

فإذا كنا قد أثبتنا سابقاً وجود شيء من القرآن قد تم نسخ تلاوته، فإننا لا نجد نصاً عن زيد أو عن أحد من الصحابة (رضوان الله عليهم) ممن شهد جمع زيد الأول؛ يصرح فيه بما يدل على شيء من ذلك.

وقد يعود بنا الأمر إلى ذكر أحاديث مهمة في هذا الباب:

الأول: عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مرحبا بابنتي». ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثاً فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كالليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتهما عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فسألتهما، فقالت: أسر إلي: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي...»." (76).

الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان؛ حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان؛ فيدارسه القرآن..." (77).

(74) تاريخ القرآن الكريم وغرائب رسمه وحكمه ص(29).

(75) مناهل العرفان (398/1).

(76) رواه البخاري رقم (3426).

(77) رواه البخاري رقم (6).

الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان يُعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة، فغُرِّض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه." (78).

الرابع: عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: "عُرِّض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضات، فيقولون إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة." (79).

الخامس: عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك قال: "كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كل عام مرة في رمضان، فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه مرتين."، قال محمد: "فأنا أرجو أن تكون قراءتنا على العرضة الآخرة." (80).

فهذه الأحاديث وغيرها دالة على المدارس التي كان يقوم بها جبريل مع النبي (عليهما الصلاة والسلام)، وأنها كانت تكون في شهر رمضان من كل عام، فيقوم فيها جبريل بتدارس القرآن -الذي أنزله من عند الله تعالى على نبينا قبل ذلك الزمان- معه صلى الله عليه وسلم.

يقول الحافظ ابن حجر: "فكان جبريل يتعاهده في كل سنة فيعارضه بما نزل عليه من رمضان إلى رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه به مرتين." (81).

وإن كنا لا نملك تفصيلا كاملا عما كان يحصل أثناء تلك المدارس، إلا أننا نستطيع أن نقول إن جبريل كان يبين للنبي صلى الله عليه وسلم كل أمر مهم متعلق بالقرآن، ومن أهم المهمات معرفة مواضع الآيات في سورها، بل يعد هذا أهم الأمور التي ينبغي مدارستها، إذ عليه بينى القرآن الكريم، فلا إشكال.

ومن المهم أيضا أن يبين جبريل (عليه السلام) للنبي صلى الله عليه وسلم ما تم إسقاطه من القرآن بنسخ أو تبديل، لكنّ هذا يحتاج إلى شيء من التفصيل:

فبعض المنسوخ لم يبق له أثر؛ لا في الصدور ولا في السطور، إذ قضى الله برفعه من الأرض ورفع، فهذا نوع لا شيء فيه، إذ لم يمكن للصحابة أن يقفوا عليه؛ فضلا عن أن يكتبوه.

(78) رواه البخاري رقم (4712).

(79) رواه الحاكم في المستدرک (2/231)، وحسنه الحافظ في فتح الباري (9/44).

(80) رواه الضياء في الأحاديث المختارة رقم (2593)، وحسن إسناده محققه.

(81) فتح الباري (1/31).

وبعضٌ هو الآخر كانوا لا يزالون يجدونه بين أيديهم محفوظاً أو مزبوراً، فهذا هو الذي يتناوله الكلام.

والعرضات التي كان يعارضها جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم لا ريب أنها كانت تُسقط ذلك المنسوخ الذي لم يُعد له حكم القرآن، ولم تُبق إلا ما هو قرآن عند الله في تلك السنة، إلى أن جاءت السنة الأخيرة التي أحكم الله فيها كتابه بعرضتين اثنتين أقرأهما جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم - كما جاء في حديث فاطمة رضي الله عنها-، فأسقط من القرآن كل ما حكم به أنه ليس منه مما نسخته ربنا سبحانه وبدله.

ويدل على هذا الكلام ما جاء عن زر بن حبيش قال: "قال لي ابن عباس: أي القراءتين تقرأ؟ قلت: الآخرة، قال: فإن جبريل (عليه السلام) كان يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كل عام في رمضان، قال: فعرض عليه القرآن في العام الذي قبض فيه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين، فشهد عبد الله ما نسخ منه وما بدل، فقراءة عبد الله الآخرة." (82).

فقول ابن عباس رضي الله عنه: "فشهد عبد الله ما نسخ منه وما بدل."، دليل على أن المعارضة بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم كان يتم فيها تأليف القرآن وفق الذي ذكرنا. ومن الأمور التي يمكن أن تعني بها العرضة الأخيرة قضية الأحرف السبعة، وهي جوهر موضوعنا، فإما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن كلها، وإما أنه كان يعرض بواحد منها فحسب.

والحق أنه لا يمكننا الجزم هاهنا إذ قد يصل بنا الأمر إلى حد الافتراء، وقد عُلم مبلغ الكذب عليه صلى الله عليه وسلم وجرمه أعادنا الله من النار، لكن الأمر مهما كان؛ فإنه لم يأت نص عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن القراءة بالأحرف السبعة في آخر حياته صلى الله عليه وسلم، ولا جاء عنه ما يفيد عزمه على توحيد قراءات الصحابة، بل العكس هو الثابت، لأنهم بقوا على ما كانوا عليه من خلاف في قراءاتهم حتى بعد العرضة الأخيرة.

(82) رواه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (16202)، وسيأتي له شاهد.

فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن العرضة الأخيرة ولو على فرض أنها كانت بحرف واحد؛ فإنها لم تنسخ أياً من الأحرف السبعة فضلاً عن ستة منها، ولم تتعرض لهذه القضية أبداً. وأرى أن هذه القضية في بحاجة إلى مزيد من الاستدلال، فأقول:

إننا بين احتمالين اثنين لا غير، إما أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم عارض جبريل القرآن في آخر رمضان بحرف واحد أو بالسبعة كلها.

فإن كان الأول فلن يكون فعله ذلك إلا على سبيل التعليم والاختصار⁽⁸³⁾، لكي يبين له مواضع الآيات في السور، ويبين له المنسوخ والمبدل؛ على ما سلف بيانه، لأسباب أراها:

- أنه لم يرد دليل واحد يأمر المسلمين بترك حروفهم المختلفة، والاجتماع على واحد منها.

- أن الرخصة بقيت إلى ما بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

- أنها لو كان ناسخة لجميع الأحرف الأخرى؛ لكان الناس يقرؤون اليوم قراءة واحدة لا تختلف.

وإن كان الثاني فإن الأمر يهون، وقد بقيت الأحرف السبعة كما نزلت عليه صلى الله عليه وسلم.

ويدل على هذا الأمر من الآثار ما يلي:

عن أبي ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "أي القراءتين تعدون أول؟ قالوا: قراءة عبد الله.

قال: "لا بل هي الآخرة، كان يعرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عرض عليه مرتين، فشاهده عبد الله، فعلم ما نسخ منه وما بدل."⁽⁸⁴⁾.

ورواه عنه مجاهد أيضاً⁽⁸⁵⁾.

وعن سمرة رضي الله عنه قال: "عرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضات،

فيقولون إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة."⁽⁸⁶⁾.

⁽⁸³⁾ كالذي يقرأ بوجه واحد على شيخه؛ ويجيزه في بقية الأوجه لعلمه بإتقانه، وشتان بين هذا وما نحن فيه.

⁽⁸⁴⁾ رواه أحمد في المسند رقم (3422)، والنسائي في السنن الكبرى رقم (7940) و(8201)، وابن أبي شيبة في المصنف رقم

(30919)، والبزار في المسند رقم (4923)، والطحاوي في مشكل الآثار (263/1-264)، والطبراني في المعجم الكبير رقم

(12602)، والحاكم في المستدرک (230/2)، والمستغفري في فضائل القرآن رقم (436)، وقال محققه أحمد السلوم: "صحيح".

⁽⁸⁵⁾ رواه أحمد رقم (2999)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (264/1)، والحاكم في المستدرک (231/2).

⁽⁸⁶⁾ سبق تخريجه.

وعن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك قال: "كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كل عام مرة في رمضان، فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه مرتين"، قال محمد: "فأنا أرجو أن تكون قراءتنا على العرضة الآخرة."⁽⁸⁷⁾.

وعنه قال: نبئت أن ابن مسعود قال: "لو أعلم أن أحدا تلبّغنيه الإبل أحدث عهدا بالعرضة الأخيرة مني لأنتيته، أو لتكلفت أن آتية."⁽⁸⁸⁾.

فهذه الآثار تدل بمجموعها على أن قراءات ابن مسعود وسمرة وابن سيرين مولى أنس بن مالك وأكثر الصحابة - وإن اختلفت في حروفها - فإنها جميعا كانت على العرضة الأخيرة، لأنها كانت متفقة في الأمرين: ترتيب الآيات في السور، وإبعاد ما نسخ وما بدل.

وقد جزم بذلك رجلان من خيرة التابعين هما عبدة السلماني، وأبو عبد الرحمن السلمي.

فأما الأول فعن ابن سيرين عن عبدة قال: "القراءة التي عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي قبض فيه، هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم."⁽⁸⁹⁾.

فقله يقرؤها الناس اليوم يعني في زمن التابعين، مع أنه كان يقرأ بقراءة ابن مسعود إذ كان من أخص أصحابه رضي الله عنه.

قال إبراهيم النخعي: "كان أصحاب عبد الله الذين يفتون وقرئون القرآن: علقمة والأسود وعبدة ومسروق وعمرو بن شرحبيل والحارث بن قيس."⁽⁹⁰⁾، وقال حسين الجعفي: "قراءة عبد الله هي قراءة الكوفيين، لأن عمر رضي الله عنه بعث به إلى الكوفة ليعلمهم، فأخذت عنه قراءته...، ثم لم تزل في أصحابه؛ ينقلها الناس عنهم، وأصحابه منهم: علقمة والأسود بن يزيد ومسروق بن الأجدع وزر بن حبيش وأبو وائل وأبو عمرو الشيباني وغيرهم."⁽⁹¹⁾.

⁽⁸⁷⁾ سبق تخريجه.

⁽⁸⁸⁾ رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص(102).

⁽⁸⁹⁾ رواه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (30922).

⁽⁹⁰⁾ رواه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (30931)، وينظر غاية النهاية (294/2).

⁽⁹¹⁾ الهداية إلى بلوغ النهاية ج4/ص2911-2912.

وأما أبو عبد الرحمن السلمي فقد قال البغوي: "وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: "كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرؤون قراءة العامة، وهي القراءة التي قرأها رسول الله على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه." (92).

فقوله كانت قراءتهم واحدة لا يعني به -بحال- أنهم كانوا يقرؤون بحرف واحد، فقد ثبت اختلافهم في كثير من الأحرف، وما قصده إلا أنهم كانوا يقرؤون على العرضة الأخيرة، وقوله إنها كانت واحدة دليل على أن الصحابة لم يختلفوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن إلا اختلافا يسيرا؛ كان -ربما- بسبب تشبث بعض الأفاضل كأبي بن كعب رضي الله عنه بالقديم في جزئيات قليلة، نبه عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم آنذاك.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال عمر: "أبي أقرؤنا، وإنا لندع من لحن أبي، وأبي يقول أخذته من في رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أتركه لشيء." (93).

فإذا جئنا الآن إلى صحف أبي بكر رضي الله عنه؛ فإننا سنحكم بدهاءة بأنها كتبت وفق العرضة الأخيرة، لأن العرضة الأخيرة هي التي استقر عليها أمر القرآن من الناحيتين الاثنتين اللتين ذكرتهما، وهما ترتيب الآيات في السور، واستبعاد ما نسخ وبدل، ولأن زيدا رضي الله عنه قال في حديثه عن جمع القرآن: "فتبعت القرآن"؛ وهو القرآن المعهود الذي ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه المسلمين بعده، ليس فيه ما بدل ونسخ، لأن ما بدل ونسخ لم يعد منه.

وهذا الأمر يمكنني أن أستشفه من خلال الأثر الآتي:

عن سعيد بن المسيب قال: "لما صدر عمر بن الخطاب من منى؛ أناخ بالأبطح؛ ثم كوم كومة بطحاء؛ ثم طرح عليها رداءه؛ واستلقى، ثم مد يديه إلى السماء؛ فقال: اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع؛ ولا مفرط.

(92) شرح السنة ج4/ص525، والعجيب: أن أكثر الناس يستندون إلى مقالة أبي عبد الرحمن غير المسندة هذه في إثبات شهود زيد للعرضة الأخيرة، ويتركون ما صح عن ابن عباس رضي الله عنه فينفون عن ابن مسعود شهودها!!
(93) رواه بهذا اللفظ البخاري رقم (4719).

ثم قدم المدينة، فخطب الناس؛ فقال: أيها الناس قد سُنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة، إلا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا، وضرب بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائل: لا نجد حدين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا، والذي نفسي بيده! لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى لكتبها (الشيخ والشيخة فارجموهما البتة)، فإننا قد قرأناها، ... فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل عمر (رحمه الله) (94).

وفي رواية ابن عباس رضي الله عنه مثله: "وايم الله لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله عز وجل لكتبها." (95).

فقول عمر رضي الله عنه: "لكتبها"، يدل على أنها كانت غير مكتوبة عندهم، وقد كان ذلك آخر حياته، ولا يوجد مكتوب يعنيه عمر رضي الله عنه غير تلك الصحف البكرية، لأنها المصحف الرسمي الذي يخشى عليه الناس من التبديل والتغيير، وأما المصاحف الفردية فهي خاصة بأصحابها، فلا يقوم حولها أي تهويل إن هي تغيرت.

فإن دلّ هذا على شيء؛ فإنما يدل على ما أردت إثباته؛ وهو أن صحف أبي بكر رضي الله عنه كانت خالية من القرآن المبدّل، لأن تلك الآية وإن بقي حكمها فهي مما نسخ تلاوته والله أعلم. وبناء على هذا؛ فإننا لا نجد دليلا على اختصاص زيد بن ثابت رضي الله عنه بمعرفة العرصة الأخيرة، مع أن العلماء كادوا يجمعون على اختصاص زيد بها - كما ذكرنا ذلك عن الداني في المبحث السابق -، فقد كان يعلمها هو وغيره من الصحابة، إذ كانت على وفق ما ذكرنا، ولم يتميز بمعرفتها دون

(94) رواه مالك في الموطأ رقم (3044)، وعنه الشافعي في مسنده بترتيب السندي (81/2-82)، وعنه البيهقي في معرفة السنن والآثار رقم (16678)، عن سعيد بن المسيب.

(95) هذا اللفظ ورد عند البخاري تعليقا (69/9)، وأبي داود رقم (4418)، وأحمد رقم (156)، وأبو عبيد في الفضائل ص (321)، وابن حبان كما في الإحسان رقم (413)، وأصله عند البخاري برقم (6830)، وعند مسلم (1691) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

سائر الأجلة منهم، من ذوي العناية بالقرآن، ولهذا السبب لم يذكر له أبو بكر رضي الله عنه هذه المزية على أنها مرجح من مرجحات تكليفه وتقديمه، وعليه فلا أرى أن زيادتها ذات بال وقيمة.

نعم؛ لقد كان بعض الصحابة -ممن لم يكن لهم تلك العناية الفائقة بالقرآن العظيم- يقرؤون آيات نسخت؛ يرون أنها لا تزال من القرآن، وهذا أمر جدّ عادي ومقبول، إذ كان بعضهم يغيب عن المدينة لأمره الشخصية، وبعضهم لا يحفظ من القرآن إلا الشيء القليل، وهكذا.

ومما يروى في هذا المقام؛ ما حدثت به عائشة رضي الله عنها قالت: " كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نُسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن." (96).

قال السيوطي (رحمه الله): "وقد تكلموا في قولها: وهن مما يقرأ...، فإن ظاهره بقاء التلاوة، وليس كذلك، وأجيب بأن المراد قارب الوفاة، أو أن التلاوة نسخت أيضاً، ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتوفي وبعض الناس يقرؤها." (97).

أقول: ولعل بعضهم جاء بشيء من ذلك إلى عمر وزيد رضي الله عنهم، ليعلم بعدها أن هذا مما نسخت تلاوته، والله أعلم.

(96) رواه مسلم رقم (1452).

(97) الإبتقان (4/1440-1441).

الخاتمة:

إلى هنا انتهى الكلام عن صحف أبي بكر (رضي الله تعالى عنه)، وما حوته من قرآن، وما لم تحوه، وقد فصلت القول قدر استطاعتي، والله يحق الحق سبحانه، فأسأله تعالى أن يجعل فيما كتبت نفعا وهداية؛ ووسيلة إلى الحق.

ويحسن في هذا الختام أن أخلص النتائج التي وصلت إليها من خلال الصفحات الماضية:

- إن صحف أبي بكر رضي الله عنه كانت نسخة من المكتوب الذي كتبه الصحابة زمن النبي صلى الله عليه وسلم حين كان ينزل عليه القرآن؛ فيأمر بكتابته دون تأخر، فاعتمد زيد في جمعه للصحف البكرية على تلك الأصول ذات الصلة الوثيقة بالسماء.

- واعتمد زيد رضي الله عنه أيضا على صدور المؤمنين الناقلة للقرآن، والسبب في ذلك أن حروف الصحابة التي كانوا يقرؤونها كانت مختلفة، ولم يك زيد يعلمها جميعا، بل ربما ما كان يعلم غير حرفه الذي علمه إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- إن المكتوبات التي كانت بحوزة الصحابة رضي الله عنهم والتي كتب منها زيد الصحف البكرية كانت بالأحرف السبعة، وفقا لما كان الصحابة يقرؤونه في وقته صلى الله عليه وسلم.

- لقد سلك الخليفة أبو بكر رضي الله عنه والجماعة منهجا وطريقة تضمن أداء المهمة على وجه كامل، وكان ذلك وفق ما يلي:

1. اختيار الرجل المناسب لهذه المهمة زيد رضي الله عنه، لاتصافه بأمر قلما يتصف بها غيره، أهمها أنه كاتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

2. الإعلان عن المشروع في الناس؛ ليضمن بذل المسلمين كنوزهم إلى زيد، وقام بهذه المهمة المستشار الأول للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

3. جمع المكتوبات من عند الناس وقبولها منهم؛ بشرط إثبات كتابتها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنها من إملائه على كاتبها، ولا يكون ذلك إلا بشاهدين.
4. نسخ تلك المكتوبات في صحف من رق؛ اختيرت بعناية للبقاء والحفظ، وجعل كل وحدة منها في صحيفة مستقلة من تلك الصحف، لتصير تلك الصحف نسخة ثانية مما هو في أيدي الصحابة (رضوان الله عليهم).
5. صفّ تلك الصحف وجعلها بين لوحين في ملزمة واحدة لحفظها، وإيداع تلك الصحف في مكان آمن في بيت الخليفة رضي الله عنه.
6. إعادة المكتوبات إلى أصحابها؛ ليحفظوها عندهم، حتى تكون جاهزة يوم الحاجة إليها.

ولقد أثبت في البحث أن زيدا رضي الله عنه كتب القرآن على العرضة الأخيرة؛ التي عارضها جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في آخر عام من حياته، فاحتجت إلى أن أعرف محتوى العرضة الأخيرة، فوصلت إلى أنها عبارة عن مدرسة وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل؛ بين له فيها آخر حال ينبغي أن يستقر عليها القرآن، وذلك بترتيب الآيات في سورها كما هي عليه الآن، واستبعاد المنسوخ والمبدل منه مما أذن الله برفعه منه.

وأثبت أيضا أن العرضة الأخيرة لم تنسخ شيئا من الحروف السبعة التي أذن الله بقراءتها، ونشرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه رضي الله عنهم قبلها.

وعليه فقد ثبت لديّ كنتيجة أخيرة أن صحف أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت مكتوبة بالأحرف السبعة؛ على العرضة الأخيرة أي مرتبة الآيات في سورها؛ خالية مما نسخ وبدل من القرآن.

ولم أتعرض في هذا البحث إلى الشُّبه التي يذكرها المخالفون، سواء من بني جنسنا أو من غيرهم، وهي بحاجة إلى دراسة ينبغي أن يوصى بها، فأسأل الله أن ييسر لها من يخدمها، بمنه وكرمه سبحانه.

هذا ما كتب الله لي أن أحطه بأناملي في هذا المقام، فأسأله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد، والعفو عن الزلل إنه سميع مجيب.

فهرس المصادر والمراجع:

1. الإلتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: مكتب الدراسات القرآنية، ط1(1426)، مجمع الملك فهد للمصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية.
2. الأحاديث المختارة، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، ت: عبد الملك بن دهيش، ط4 (1421-2001)، دار خضر، بيروت، لبنان.
3. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط15(2002)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
4. البحر الزخار المعروف بمسند البزار، البزار أحمد بن عمرو العتكي، ت: د. محفوظ الرحمن زين الله، ط1(1409-1988)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، السعودية.
5. تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، ط1، د.ت، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
6. تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، محمد طاهر الكردي، ط(1365هـ)، نشر: مصطفى محمد يغمور، جدة، السعودية.
7. التاريخ الكبير، البخاري محمد بن إسماعيل، ط(1407-1986)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
8. تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة عمر النميري، ت: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: حبيب محمود أحمد، د.ط، د.ت، د.د.
9. تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للرعي، الألباني محمد ناصر الدين، ط4 (1405) المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
10. ترتيب مسند الشافعي، محمد عابد السندي، ت: يوسف الزواوي وعزت العطار، ط(1370-1951)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
11. تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري محمد بن جرير، ت: محمود شاكر، أحمد شاكر، ط2، د.ت، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

12. تقريب التهذيب، ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، عناية: عادل مرشد، ط1 (1416-1996)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
13. التلخيص، الذهبي محمد بن أحمد، بهامش المستدرک للحاكم.
14. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي أبو الحجاج يوسف، ت: د. بشار عواد معروف، ط1 (1413-1992)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
15. جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد، ت: محمد صدوق، ط1 (1426-2005)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
16. الجامع الصحيح، البخاري محمد بن إسماعيل، خدمة محمد زهير الناصر، ط (1311هـ)، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر.
17. الجامع لشعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، ت: عبد العلي حامد، ط1 (1423-2003)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
18. جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي علي بن محمد، ت: علي البواب، ط1 (1408-1987)، مكتبة التراث، مكة المكرمة.
19. جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته، د. الدليمي أكرم عبد ، ط1 (1427-2006)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
20. جميلة أرباب المراصد شرح عقيلة أتراب القصائد، الجعبري إبراهيم بن عمر، مخطوط بموقع الألوكة، الرابط: <http://www.alukah.net/library/0/60733>
21. سنن أبي داود، أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور آل سلمان، ط1، د.ت، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.
22. سنن الترمذي، الترمذي محمد بن عيسى بن سورة، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور آل سلمان، ط1، د.ت، مكتبة المعارف، الرياض،

السعودية.

23. السنن الكبرى، البيهقي أحمد بن الحسين، ت: محمد عبد القادر عطا، ط3(1424-2003)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
24. السنن الكبرى، النسائي أحمد بن شعيب، ت: حسن شلبي، ط1(1421-2001)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
25. سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المكي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
26. السيرة النبوية، عبد الملك ابن هشام، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط2(1955)، مكتبة مصطفى الباوي الحلبي، القاهرة، مصر.
27. شرح السنة، البغوي الحسين بن مسعود، ت: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط2(1403-1983)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
28. شرح مشكل الآثار، أبو جعفر الطحاوي أحمد بن محمد، ت: شعيب الأرنؤوط، ط1(1415-1995)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
29. صبح الأعشى، القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، ط(1922)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.
30. صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان، الفارسي علي بن لبان، ت: شعيب الأرنؤوط، ط2(1414-1993)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
31. صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط1(1423-2003)، مؤسسة غراس، الكويت.
32. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، عناية: أبي صهيب الكرمي، ط(1419هـ-1998م)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية.

33. عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، الشاطبي الرعيني القاسم بن فيره، ت: د. أيمن رشدي سويد، ط1(1422- 2001)، دار نور المكتبات، جدة، السعودية.
34. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ت: عبد العزيز بن باز ومحب الدين الخطيب، د.ط، د.ت، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
35. فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، ت: وصيا الله عباس، ط1 (1403- 1983)، نشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
36. فضائل القرآن، ابن كثير إسماعيل بن عمر، ت: أبو إسحاق الحويني، ط1 (1416)، دار ابن تيمية، القاهرة، مصر.
37. فضائل القرآن، أبو العباس المستغفري جعفر بن محمد، ت: د. أحمد السلوم، ط1 (1427- 2006)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
38. كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع، ت: د. علي محمد عمر، ط1(1421- 2001)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
39. كتاب فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين، ط2 (1420- 1999)، دار ابن كثير، دمشق، سورية.
40. لسان العرب، ابن منظور محمد بن المكرم، ت: عبد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، د.ط، د.ت، دار المعارف، القاهرة، مصر.
41. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، ت: عبد الحميد هنداوي، ط1 (1421-2000)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
42. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، إشراف: يوسف المرعشلي، د.ط، د.ت، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
43. مسند ابن أبي شيبه، أبو بكر بن أبي شيبه عبد الله بن محمد، ت: عادل الغزاوي وأحمد المزيدي، ط1(1418- 1997)، دار الوطن، الرياض، السعودية.

44. المسند، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، ط1(1421- 2001)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
45. المصاحف، أبو بكر بن أبي داود السجستاني، ت: سليم بن عيد الهلالي، ط1 (1427- 2006)، مؤسسة غراس، الكويت.
46. المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، د.ط، د.ت، دار الفكر العربي، مصر.
47. المعجم الكبير، الطبراني سليمان بن أحمد، ت: حمد السلفي، ط2، د.ت، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.
48. معرفة السنن والآثار، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين، ت: عبد المعطي قلعجي، ط1 (1412- 1991)، دار الوفاء، القاهرة، مصر، وغيرها.
49. معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله، ت: عادل العزازي، ط1(1419- 1998)، دار الوطن، الرياض، السعودية.
50. المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد، ت: محمد الصادق قمحاوي، ط(1978)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر.
51. ملتنقى أهل التفسير، الموضوع: هدية عيد الفطر 1428هـ - صورة كاملة للمصحف المنسوب لعثمان بن عفان بالمشهد الحسيني بمصر، مشاركة: عبد الرحمن الشهري، الرابط: <http://vb.tafsir.net/tafsir9751/#.WDi-k30VbIV>
52. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني محمد عبد العظيم، ت: أحمد شمس الدين، ط(1416- 1996)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.